المحاضرة الرابعة : الشعر في صدر الإسلام. شعر الفتوحات.

مراجع المحاضرة:

- النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام.
- محسن طاهر اسكندر: أثر الإسلام في شعر عصر النبوة.
- حسين علي الدخيلي: البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام.
- سعاد ترشاق: محاضرات النص الأدبي القديم.

تمهيد: من النادر، أن تنقلب موازين القوى، وتتغير من النقيض إلى النقيض. كما حدث في بعض مراحل التاريخ فنجد أن أمة ناشئة كأمة العرب المسلمين، تتعاورها الفتن والاضطرابات، وحركات الارتداد، تهدم إمبراطوريتين عظيمتين لتشيد على أنقاضهما إمبراطورية عظيمة، في مدى لا يتجاوز عشر سنوات.

كان العرب – إلى سنوات قليلة قبل مجيئ الإسلام – قبائل متناحرة ، ضعاف أمام الفرس والروم، بل إن مناطق كثيرة من بلادهم كانت تخضع لنفوذهما. وما إن عم الإسلام شبه جزيرة العرب حتى توحدت العرب، وتحولت قبائلهم المتنافرة إلى أمة واحدة متضافرة تتطلع إلى توسيع رقعة الإسلام ونشر تعاليمه خارج شبه جزيرتهم.

وقد التزم المسلمون بتعاليم دينهم الذي دعاهم إلى الجهاد في سبيله، ونشر تعاليمه الحنيفة إلى أبعد نقطة في هذا العالم. فالتزموا بحمل الرسالة والائتمار بما أمرهم الله والانتهاء عما نهاهم عنه. وقد أمر الله – عز وجل – المسلمين بالجهاد وحثهم عليه في عديد الآيات . منها قوله: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم" وقوله:" فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما"

لهذا راح المسلمون يفتحون الأمصار والبلدان، يبشرون بالدين الحنيف، وينشرون تعاليمه. وقد صاحب حياة الجهاد تلك، حياة أدبية تصور الحروب والمعارك ، كما تصور تلك المشاعر الصادقة المرتبطة بلحظات الانتصار ، أو تحفيز الجيش على القتال، أو الحنين للأهل والأبناء، أو رثاء قتلى المسلمين...وقد سمي الشعر الذي حفل بهذه المرحلة، شعر الفتوح.

تعريف شعر الفتوح: يسمى أيضا شعر الجهاد، وهو الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك والمغازي، ووصف الحياة الجديدة التي آلت إليها شبه الجزيرة العربية التي شهدت الإسلام.

أغراضه:

1 - الفخر والحماسة

2 - الرثاء

3 - الوصف

4 - الحنين إلى الأهل والأبناء

وقد عرف الشعر العربي الذي قيل قبل الإسلام هذه الأغراض ، إلا أن هذه الأغراض عرفت تغيرا في رحاب الدين الإسلامي، فاصطبغت بالصبغة الإسلامية شكلا ومضمونا. أما الفخر' فقد تحول من فخر بالأنساب وفخر بالذات الفردية، وفخر مشبع بالعصبية والقومية، إلى فخر بالإسلام والمسلمين، وفخر بانتصار الإيمان على الكفر، والنور على الجهل.

أما الرثاء الذي تداوله العرب منذ الجاهلية، فقد عرف طابعا خاصا في شعر الفتوحات، حيث تلبست معاني الشعراء بالرضا بالقضاء والقدر، وظهرت فيه معاني التصبر لأن المرثي مآله الجنة خالدا فيها. كما أضحى الموت مرغوبا لدى الجنود المسلمين لأن الإسلام جعل الموت في سبيل الله من أسمى العبادات.

كما طرق الشعراء مواضيع جديدة تعتبر تجديدا واضحا ، كرثاء أنفسهم في البلدان الغريبة، أو رثاء بعض أعضائهم.

خصائص شعر الفتوح:

1 - البناء الفني للقصيدة: يناقش هذا العنصر التزام شعراء الفتوح بتقاليد البناء الفني للقصيدة القديمة.

إن أول مظاهر هذا البناء الفني هو المقدمة، وهي ظاهرة كبرى في شعرنا العربي القديم، وقد عرف الشعر العربي القديم بالمقدمة الطللية في أغلبه . فهل التزم شعر الفتوح بهذه المقدمة؟

إن الشعر في أي عصر من العصور ، لا يخلو من تقاليد ورواسب العصر السابق له، وهذا يعني أن بعض شعراء الفتوح قد التزموا بالبناء الفني القديم للقصيدة الممثل في جزئية المطلع الطللي. أما القسم الآخر من شعراء الفتوح، فلم يلتزموا بهذا النهج. والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة الأجواء الحربية التي خاضوها، فهي ظروف لا تسمح للشاعر الفارس أن يطيل النفس في قصيدته، فضلا عن اهتمامه بالحرب والنصر .

2 - الواقعية والسرد.

3 - الاضطراب الفني: لأن أغلب شعراء الفتوح لم يكونوا من محترفي الشعر، فكانت قدرتهم على النظم والتأليف لا ترقى إلى المستوى المطلوب كما هي عند حسان وكعب وغيرهم.

4 - وحدة الموضوع.

5 - شيوع المقطوعات.

6 - المعجم الشعري لشعر الفتوح غني بأساليب القرن الكريم والحديث النبوي الشريف.